الجرعة الثانية .. متى .. ؟!

بقلم
أحمد طلعت

كنا ولازلنا من المؤمنين بأن الديموقراطية تؤخذ ولا تمنح ، كما كنا ولازلنا واثقين من أن الفكر السياسى والقانونى لا يعرف ما يسمى « الديموقراطية بجرعات » ، فالديموقراطية كل لا يتجزأ ، اما ان تكون ، أو لا تكون .

الديموقراطية هى حكومة باختيار الشعب وتحت رقابته ، فاذا لم تتحقق الارادة فقدت الحكومات شرعيتها ، واذا لم تكن هناك رقابة حقيقية فان الحكومات تتجه حتما الى التسلط والاستبداد .

ومع ذلك - ولأننا نعيش فى واحدة من دول العالم الثالث - فان الحكومات التى تحتكر اجهزة الاعلام المكتوب والمرئى والمسموع ، ولا تكف عن الحديث عن « ديموقراطية الجرعات » التى تبررها بأن الشعب لم يصل بعد الى المستوى الحضارى والثقافى الذى يؤهله لممارسة ارادته ورقابته كاملة ، رغم فساد هذه المقولة وخطورتها ، فالحكومات التى تردد هذه المقولة - هى نفسها تفخر بأنها تستمد شرعيتها من ارادة هذا الشعب الذى تصفه بالتخلف .. وعدم النضج .. !!

ولاننا نعلم - مقدما - بأنه لا جدوى من المناقشة حول الديموقراطية الكاملة وديموقراطية الجرعات ، فاننا سوف نكتفى فقط بتسجيل حقيقة وحيدة ، هى ان الديموقراطية فى مصر تجمدت عند « الجرعة الاولى » ، رغم ان المريض - وهو الشعب - لازال يتلوى من الألم فى انتظار بقية الجرعات فعند قيام حركة الجيش - فى يوليو من عام ٥٢ - كان من بين الاهداف التى اعلنتها الحركة » اقامة حياه ديموقراطية سليمة » وظل هذا الشعار معلقا بين مخالب الحزب الواحد - والرأى الواحد - حتى سمح النظام الحاكم بالتعددية الحزبية فى عام ١٩٧٥ ، فى ظل قانون الاحزاب السياسية الذى كرس فكرة « الجرعات » بما تضمنه من قيود على حرية قيام الاحزاب - اهمها واخطرها - انه جعل الترخيص بقيام احزاب جديدة فى يد لجنه معظم اعضائها من رجال الحزب الحاكم ورئيس الحزب الواحد الذى احتكر السلطة منذ عام ١٩٥٢

وقال المتفائلون - وقتها - لا بأس اذا كانت التعددية الحزبية فى ظل هذا القانون هى مجرد « جرعة اولى » سوف تتبعها على مر الايام جرعة ثانية وثالثة وظل الشعب على مدى ما يقرب من عشرين عاما حتى الان يترقب بقية الجرعات ، فماذا كانت النتيجة

● الدستور - من وقتها - لم تعدل فيه مادة واحدة ، ولم يرفع منه قيد واحد ، ولم تقيد بنصوصه سلطة واحدة من السلطات الواسعة لرئيس الدولة .

● وقانون الاحزاب - الذى كان هو الجرعه الاولى - ظل على حاله لا يسمح بجرعة اخرى ، حتى ولو كانت متواضعة .. فى قاع فنجان .. !

● ولجنة الاحزاب - واغلبية اعضائها من الحزب الحاكم - وريث الحزب الواحد والامين على كهنوتة ، تمسك بتلابيب الاحزاب الجديدة ، ترفض قيامها واحدا بعد الاخر ، استنادا الى اسباب ملفقة او فى احسن الظروف .. تافهة ..

المتفائلين الذين احسنوا الظن بدعاة « ديموقراطية الجرعات »

- متى يأتى وقت الجرعة الثانية .. ؟

اما المريض - الذى هو الشعب - فانه لا يزال يتلوى من الألم .. ومن الغضب .. فى انتظار « جرعة » لعلها تأتى قبل فوات الاوان !!